

كتابة مقال

١- تعريف المقال: فنُّ نثريّ يعرِّضُ الكاتبُ فيه رأياً، أو يُثيرُ قضيةً، أو يناقشُ فكرةً ما بطريقةٍ منظمّةٍ وشائقة.

٢- أجزاء المقال: أ- المقدّمة. ب- العرّض. ج- الخاتمة.

أولاً- المقدّمة: هي المدخل التمهيدي للأفكار التي سيعرضها الكاتب في المقال، ويشترط في مقدمة المقال أن تكون مناسبة لموضوع المقال وشائقة وتهيئ القارئ للموضوع.

ثانياً- العرّض: هو الأسلوب الذي يُقدّم فيه الكاتبُ قضيته التي يريد أن يعرضها، ويُشترطُ فيه أن يكون مرتباً، وأن تكون فقراته متسلسلةً ومتناسقةً، وأن يكون أسلوبه واضحاً جميلاً.

ثالثاً- الخاتمة: هي التي يُلخّصُ الكاتبُ فيها موضوعه أو يعرّضُ فيها النتائج التي توصل إليها، وينبغي أن تكون مُركّزةً.

أثر الأدب في الحياة
بقلم محمد قدري لطفي
مجلة الرسالة - العدد (٤٤)

تُوِّلَفُ في الأدب كتبٌ، وتُنشَأُ له صحفٌ، وتُقَامُ له جماعاتٌ، وتُشَيَّدُ من أجله جامعاتٌ، وتُعْرَفُ به رجالٌ، فأبي أثر لهذا الأدب في الحياة، وأي وظيفة يؤديها لهذا المجتمع الذي غلبت عليه المادةُ، ولم تَلَقَ فيه المعنوياتُ ما يجب لها من عناية وتقدير؟

إن للأدب عناصرَ يترَكُّبُ منها، أساسها تلك العواطف التي تستولي على المرء فتحرك نفسه وتهتز لها يراعتُه فتدوّن على صفحة القرطاس تلك الحركات النفسية، وتصورها على قدر شدتها أو خفتها، فإذا عُرضت على الناس حَرَكَت فيهم نفسَ الشعور، وأحيت منهم نفسَ العاطفة.

وكم في هذه الحياة من نفوس دقيقة الحس صادقة الشعور تحركها شؤونُ الحياة وتهزها صروفُ الدهر، هي نفوس أدبية تحس في صمت، وتشعر في سكون، ولكن أصحابها فقدوا أداة الأدب التي تُمَيِّزُ الأدباءَ من غيرهم من ذوي الحس الدقيق والشعور الصادق.

فالحياة تذيقنا جميعاً حلوها ومرّها، ونلقى منها جميعاً ما نحزن له أحياناً ونطرب له حيناً، وهي تعرض علينا من ألوانها الزاهي البهيج والقاتم الحزين. والأديب منا من شرح حسّه فأجاد الشرح، وصوّر لنا عواطفه فأحسن التصوير، وإذن فَلْيَتَعَزَّ المحزونُ العاجزُ عن بثِّ حزنه بنفثات الأديب المحزون، وليبحث البائس الذي لم يسعفه بيانه عما يسليه ويذهب ببعض آلامه في سطور الأديب البائس، وليقرأ المحبُّ الذي أحبَّ فأخلص، وأخلص فتفاني في إخلاصه، ولكنه كان أعجزَ من أن يُسمِعنا حديثَ قلبه وينقل إلينا نفسه وخفيّ حسّه، أقول ليقراً ذلك

المحبُّ العاجزُ ما كتب المحبُّ الأديبُ، فسيجد بين السطور نفسه مرسومةً، وسيلمح في ثنايا العبارات عواطفه مصورةً، فلست أعرف بين العواطف الإنسانية عاطفةً تشترك فيها القلوبُ جميعاً، وينطبق ما يقال عنها على الناس جميعاً، كعاطفة الحب الخالص المتين. ألسنت ترى الأنشودة يغنيها المحبُّ شاكياً أو باكياً، فيعدها غيره صدى نفسه وترجمانَ حسّه؟ وإذن فالأدبُ ضرورةٌ من ضرورات الحياة، وعنصر مهمٌّ من عناصر العيش، فيه الحزين، وسلوى المحب، وعزاء المحزون. ولو أجَلتْ نظركَ إلى هذا العالم فسَينبئك عن قدر الأدب بين الأحياء، فكل مَنْ فيه ماله آخر يومه إلا الراحةُ والسكونُ، والمرء مهما كدَّ وجَدَّ فلا بدَّ له من سويكات تَقَرُّ فيها نفسه، ويخلد فيها إلى السكون جسمه، وعندئذ فلن يجدَ أشهى من ثمرات القرائح والنفوس يقطفها من صفحات كتاب. ولن يجد أحلى من زهر العواطف تفوح رائحته من ثنايا النثر أو الشعر.

ولن أقول أي نثر أو أي شعر، فلكل ذوقه ولكل ما يُؤثر، وهي بضاعة من نتاج القرائح معروضة، فليأخذ منها كلُّ ما يلائم حسّه، ويصادف هوى نفسه.

وتريد أن تعرفَ قيمةَ الأدب في الحياة وتبين أثره في الناس. إذن فانظر إلى رجل ليس يقرأ إلا قصيدةً قد حوت رائعَ اللفظ وساحرَ المعنى، وليس يطالع إلا في كتاب قد تضمَّن من الحديث أعذبه وأحلاه، ومن القصص أحسنه وأشهاه، فيه شجون وفيه أحزان، وفيه شكوى وفيه غرام، وفيه عاطفة حارة وحسُّ جميل، وفيه وصف رائع وشعور صادق نبيل، ثم استمع إليه يحدثك فستجد عقلاً مصقولاً ونفساً مهذبةً، أثَّرت فيها هذه الآدابُ فرققت حواشيها، وعملت فيها تلك القراءاتُ فأرهفت حسَّها وهذَّبت نواحيها، وهل أجلُّ في الحياة من نفسٍ مهذبة وعقلٍ صقيل؟ وتريد أن تعرفَ قيمةَ الأدب في الحياة وتبين أثره في الناس؟

إذن فنصور شعباً يُنصت إلى نشيده الوطني وقد دَجَّجَتْهُ يراعةٌ أديبٍ قدير، فحوَى من معاني الوطنية أرفعها وأسمائها،
وحرَّك من نفوس الناس أشرفَ العواطف وأرقى درجات الشعور، فتحفَّزت نفوسهم واستعذبوا الموت في سبيل
الوطن.

وللأدب بعد ذلك ناحيةٌ عامة لا تقل شأنًا عن تهذيب النفوس وصقل العقول وإحياء العواطف السامية في
القلوب، فأدب الأمة صفحةً صادقة من تاريخها كتبت لها طائفةً من أبنائها فلم تتحيز ولم تظلم، وإنما دوَّنت فيها
شعورها الخالص وحسها الصادق.

ولذا عُنيَتْ أرقى الأمم بالآداب وأحلتها المحلَّ اللائق بها، وأنزلت أهلها المنزلة التي تتفق وما لآثارهم الأدبية
من قيمة في الحياة. فلولا الأدب لكانت حياتنا جافةً لا تُتمل، وعبئًا ثقيلاً لا يُطاق.

الوحدة

للشيخ الأديب علي الطنطاوي

مجلة الرسالة - العدد (٢٢٩)

١٩٣٧/١١/٢٢ م

ما آلمني شيء في الحياة ما آلمني الوحدة، كنت أشعر كلما انفردت بفراغ هائل في نفسي، وأحس بأنها غريبة عني، ثقيلة عليّ، لا أطيق الانفراد بها؛ فإذا انفردت بها أحسست أن بيني وبين الحياة صحارى قاحلة، ويبدأ ما لها من آخر، بل كنت أرى العالم في كثير من الأحيان، وحشاً فاغراً فاه لا بتلاعي، فأحاول الفرار، ولكن أين المفر من نفسي التي بين جنبيّ، ودنياي التي أعيش فيها؟

إن نفسي عميقة واسعة، أو لعلّي أراها عميقة واسعة لطول ما أحدق فيها، وأتأمل جوانبها، فتخيفني بسعتها وعمقها، ويرمضني أنه لا يملؤها شيء مهما كان كبيراً، وهذا العالم ضيق أو لعلّي أراه ضيقاً لاشتغالي عنه بنفسي، وشعوري بسعتها، فأراه يخنقني بضيقه، إني أجمع العالم كله في فكرة واحدة أرميها في زاوية من زوايا نفسي، في نقطة صغيرة من هذا الفضاء الرحيب، ثم أعيش في وحدة مرعبة أنظر ما يملأ هذا الفضاء. . .

إني كلما انفردت بنفسي، فتجرت على درسها، والتغلغل في أعماقها، بدت لي أرحب وأعجب. فما هذا المخلوق الذي يحويه جسم صغير، لا يشغل من الكون إلا فراغاً ضيقاً كالذي يشغله صندوق أو كرسيّ، ويحوي هو (المكان) كله، ويشمل (الزمان)، وينتقل من الأزل إلى الأبد في أقل من لحظة، وينتظم (الوجود) كله بفكرة، وتكاد الحياة نفسها تضلّ في أغواره؟ من المستحيل أن نفهم هذا المخلوق الذي ندعوه (النفس)؛ لذلك نخاف الوحدة ونفّر منها. إننا نخشى نفوسنا، ولا نستطيع أن نفرّد بها، فنحُب أن نشغل عنها بصحبة صاحب، أو حبّ حبيب، أو عملٍ

من الأعمال... ونخشى الحياة، ونحب أن نقطعها بجديث تافه، أو كتاب سخي، أو غير ذلك مما نملاً به أيامنا الفارغة. وإذا نحن اضطررنا مرةً إلى مواجهة الحياة، ومقابلة الزمان خاليًا من أهلية نلهو بها، كما يكون في ساعة الانتظار مللنا وتبرّمنا بالحياة، وأحسنا بأن الفلك يدور على عواتقنا. أفليس هذا سرًا عجيبيًا من أسرار الحياة: يكره المرء نفسه ويخشها، وهي أحبُّ شيءٍ إليه؛ ويفرُّ منها... ويضيق بحياته، وهي أعزُّ شيءٍ عليه، ويسعى لتبديدها وإضاعته؟

عجزت عن احتمال هذه الوحدة، وثقل عليّ هذا الفراغ الذي أحسّه في نفسي، فخالطت الناس، واستكثرت من الصحبة. فوجدت في ذلك أنسًا لنفسي، واجتماعًا لشملي، فكنت أتحدث وأمرح، وأمزح، وأضحك، وأضحك، حتى ليظنني الرائي أسعدَ خلقِ الله وأطربهم؛ بيدَ أني لم أكن أفارق أصحابي وأنفردُ بنفسي، حتى يعودَ هذا الفراغ الرهيب، وترجع هذه الوحدة الموحشة. انغمستُ في الحياة لأملأ نفسي بمشاغل الحياة، وأغرِقَ وحدتي في لجة المجتمع، واتصلت بالسياسة وخببتُ فيها، ووضعت وكتبت وخطبتُ، فكنت أحسُّ وأنا على المنبر بأنني لست منفردًا، وإنما أنا مندمج في هذا الحشد الذي يصفق لي ويهتف، ولكني لا أخرج من النادي وينفضُّ الناس من حولي، وأنفرد في غرفتي حتى يعودَ هذا الفراغ أهولَ مما كان، وترجع الوحدة أثقلَ، فكأنها ما نقصت هناك إلا لتزدادَ هنا، كالماء تسدُّ مخرجه فينقطع، ولكنك لا ترفع يدك حتى يتدفق ما كان قد اجتمع فيه، فماذا يفيدني أن أذكر في مائة مجلس، أو يمرر اسمي على ألف لسان، وأن يتناقش في الناس ويختصموا، إذا كنتُ أنا في تلك الساعة منفردًا مستوحشًا متألّمًا؟

وجدت الشهرة لا تفيد إلا اسمي، ولكن اسمي ليس مني، ولا هو (أنا) فأحببتُ أن أجد الأُنس بالحب، وأن أنجو

به من وحدتي، فلم أجد الحبَّ إلا اسمًا لغير شيء، ليس له في الدنيا وجودٌ، وإنما فيها تقارب أشباح.

ولكن أئني تلتقي الأرواح؟ وأين هذا الحبُّ الجارفُ القويُّ الخالصُ الذي يأكلُ الحبيبين كما تأكلُ النارُ المعدنَ، ثم تخرجهما جوهرًا واحدًا مصفى نقيًا ما فيه (أنا) ولا (أنت) ولكن فيه (نحن)؟

فنفضتُ يدي من الحب، ويئست من أن أرى عند الناس الاجتماعَ المطلقَ، فعدتُ بطوعي أنشدُ الوحدةَ المطلقةَ، صرت أكرهُ أن ألتقي بالناس، وأنفرُ من المجتمعات، لأنني لم أجد في كل ذلك إلا اجتماعًا مزيفًا: يتناجى الصديقان، ويتبادلان عبارات الودِّ والإخاء، ولو ظهر لك باطنهما لرأيت كلاً منهما يلعنُ الآخرَ؛ وترى الجمعيةَ الوطنيةَ، أو الحزبَ الشعبيَّ، فلا تسمع إلا حُطباً في التضحية والإخلاص، ولا ترى إلا اجتماعًا واتفاقًا بين الأعضاء؛ ولو دخلت في قلوبهم لما وجدت إلا الإخلاصَ للذات، وحبَّ النفس، وتضحية كل شيء في سبيل لذة شخصية أو منفعة! وجدتني غريبًا بين الناس فتركتُ الناسَ وانصرفتُ إلى نفسي أكشفُ عالمها، وأجوبُ فيا فيها، وأقطع بحارها، وأدرس نواميسها وجعلت من أفكاري وعواظي أصدقاءً وأعداء، وعشت بحب الأصدقاء وحرِب الأعداء.

إن من حاول معرفة نفسه عرَضتْ له عقباتٌ كأداء، ومَشقاتٌ جِسامٌ، فإن هو صَبَرَ عليها، بلغَ الغايةَ، وما الغاية التي تطمئن معها النفسُ إلى الوحدة، وتأنس بالحياة، وتدرِكُ اللذة الكبرى، ما الغاية إلا معرفة الله.

وسيلُ الناس تحت أثقال العُزلة المخيفة حتى يتصلوا بالله ويفكروا دائمًا في أنه معهم، وأنه يراهم ويسمعهم، هنالك تصير الآلامُ في الله لذةً، والجوعُ في الله شَبَعًا، والمرضُ صحَّةً، والموتُ هو الحياة السرمدية الخالدة. هنالك لا يبالي الإنسانُ ألا يكونَ معه أحدٌ، لأنه يكونُ مع الله.

يا شباب العرب!
مصطفى صادق الرافي
مجلة الرسالة - العدد (١٥٥)
١٩٣٦/٦/٢٢ م

يقولون إن في شباب العرب شيخوخة الهَمِّ والعزائم؛ فالشبان يمتدُّون في حياة الأمم وهم ينكمشون، وإن اللهُوَ قد خَفَّ بهم حتى ثَقُلَتْ عليهم حياةُ الجِدِّ، فأهملوا الممكناتِ فرجعتْ لهم كالمستحيلات، وإن الهزلَ قد هَوَّنَ عليهم كلَّ صعبةٍ فاختروها؛ فإذا هزئوا بالعدو في كلمة فكأنما هزموه في معركة، وإن الشابَّ منهم يكون رجلاً تامًّا، ورجولةً جسمه تحبُّج على طفولة أعماله، ويقولون إن الأمرَ العظيمَ عند شباب العرب ألا يحملوا أبدًا تبعَةَ أمرٍ عظيم، ويزعمون أن هذا الشبابَ قد تَمَّتِ الألفَةُ بينه وبين أغلاطه، فحياته حياةُ هذه الأغلاطِ فيه، وأنه أبرعُ مُقلِّدٍ للغرب في الرذائل خاصة؛ وبهذا جعله الغربُ كالحَيوانِ محصورًا في طعامه وشرابه ولذَّاته، ويزعمون أن الزجاجةَ من الخمر تعمل في هذا الشرق المسكين عملَ جنديٍّ أجنبي فاتح.

ويتواصون بأنَّ أولَ السياسة في استعباد أمم الشرق أن يُتركَ لهم الاستقلالُ التامُّ في حرية الرذيلة، ويقولون إنه لا بدَّ في الشرق من آلتين للتخريب: قوة أوربا، ورذائل أوربا.

يا شباب العرب! مَنْ غيرُكم يُكذِّب ما يقولون ويزعمون على هذا الشرق المسكين؟

مَنْ غيرُ الشباب يضع القوةَ بإزاء هذا الضعفِ الذي وصفوه لتكونَ جوابًا عليه؟

مَنْ غيرُكم يجعل النفوسَ قوانينَ صارمةً، تكون المادَّةُ الأولى فيها: قَدَرنا لأننا أردنا؟

ألا إنَّ المعركةَ بيننا وبين الاستعمار معركةً نفسيةً، إن لم يُقتل فيها الهزلُ قُتِلَ فيها الواجبُ!

والحقائق التي بيننا وبين هذا الاستعمار إنما يكون فيكم أنتم بحُثِّها التحليلي، تكذِّب أو تصدِّق.

الشبابُ هو القوة؛ فالشمس لا تملأُ النهارَ في آخره كما تملؤه في أوله، وفي الشباب نوعٌ من الحياة تظهر كلمة الموت

عنده كأنها أُخِثتْ كلمة النوم، وللشباب طبيعةٌ أولُ إدراكها الثقةُ بالبقاء، فأول صفاتها الإصرارُ على العزم، وفي

الشباب تصنع كلُّ شجرة من أشجار الحياة أثمارها؛ وبعد ذلك لا تصنع الأشجارُ كلُّها إلا خشبًا. . .

يا شباب العرب! اجعلوا رسالتكم: إمَّا أن يحيا الشرقُ عزيزًا، وإمَّا أن تموتوا.

أَتَقَدُّوا فِضَائِلَنَا مِنْ رِذَائِلِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ الْأُورُبِيَّةِ تَنْقَدُوا اسْتِقْلَالَنَا بَعْدَ ذَلِكَ، وَتَنْقَدُوهُ بِذَلِكَ.

إِنَّ هَذَا الشَّرْقَ حِينَ يَدْعُو إِلَيْهِ الْغَرْبُ «يَدْعُو لِمَنْ ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْئَسَ الْمَوْلَى وَلِبَيْسَ الْعَشِيرِ» لِبَيْسِ الْمَوْلَى إِذَا جَاءَ بِقَوْتِهِ وَقَوَائِينِهِ، وَلِبَيْسِ الْعَشِيرِ إِذَا جَاءَ بِرِذَائِلِهِ وَأَطْمَاعِهِ. أَيُّهَا الشَّرْقِيُّ! إِنَّ الدِّينَارَ الْأَجْنَبِيَّ فِيهِ رِصَاصَةٌ مَحْبُوءَةٌ، وَحَقُوقُنَا مَقْتُولَةٌ بِهَذِهِ الدَّنَانِيرِ.

أَيُّهَا الشَّرْقِيُّ! لَا يَقُولُ لَكَ الْأَجْنَبِيُّ إِلَّا مَا قَالَ الشَّيْطَانُ: «وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي». يَا شَبَابَ الْعَرَبِ! لَمْ يَكُنِ الْعَسِيرُ يَعْسُرُ عَلَى أَسْلَافِكُمْ الْأَوْلِينَ، كَأَنَّ فِي يَدِهِمْ مِفْتَاحَ مِنَ الْعُنَاصِرِ يَفْتَحُونَ بِهَا. أَتُرِيدُونَ مَعْرِفَةَ السَّرِّ؟ السَّرُّ أَنَّهُمْ ارْتَفَعُوا فَوْقَ ضَعْفِ الْمَخْلُوقِ، فَصَارُوا عَمَلًا مِنْ أَعْمَالِ الْخَالِقِ، غَلَبُوا عَلَى الدُّنْيَا لَمَّا غَلَبُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَعْنَى الْفَقْرِ، وَمَعْنَى الْخَوْفِ، وَالْمَعْنَى الْأَرْضِي، وَعَلَّمَهُمُ الدِّينُ كَيْفَ يَعْيشُونَ بِاللذَاتِ السَّمَاوِيَّةِ الَّتِي وَضَعَتْ فِي كُلِّ قَلْبٍ عِظَمَتَهُ وَكِبْرِيَاءَهُ، وَاخْتَرَعَهُمُ الْإِيمَانُ اخْتِرَاعًا نَفْسِيًّا عَلَامَتُهُ الْمَسْجَلَةُ عَلَى كُلِّ مِنْهُمْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ: لَا يَدُلُّ.

حِينَ يَكُونُ الْفَقْرُ قِلَّةَ الْمَالِ، يَفْتَقِرُ أَكْثَرُ النَّاسِ، وَتَنْخِذُ الْقُوَّةَ الْإِنْسَانِيَّةَ، وَتَهْلِكُ الْمَوَاهِبُ، وَلَكِنْ حِينَ يَكُونُ فَقْرَ الْعَمَلِ الطَّيِّبِ، يَسْتَطِيعُ كُلُّ إِنْسَانٍ أَنْ يَغْتَنِي، وَتَنْبَعِثَ الْقُوَّةُ، وَتَعْمَلَ كُلُّ مَوْهَبَةٍ، وَحِينَ يَكُونُ الْخَوْفُ مِنْ نَقْصِ هَذِهِ الْحَيَاةِ وَالْآلِمَاءِ، تُفَسِّرُ كَلِمَةَ الْخَوْفِ مِئَةَ رِذِيلَةٍ غَيْرِ الْخَوْفِ، وَلَكِنْ حِينَ يَكُونُ مِنْ نَقْصِ الْحَيَاةِ الْآخِرَةِ وَعَذَابِهَا، تَصْبِحُ الْكَلِمَةُ قَانُونَ الْفِضَائِلِ أَجْمَعِ، هَكَذَا اخْتَرَعَ الدِّينُ إِنْسَانَهُ الْكَبِيرَ النَّفْسِ الَّذِي لَا يُقَالُ فِيهِ: انْهَزَمَتْ نَفْسُهُ. يَا شَبَابَ الْعَرَبِ! كَانَتْ حِكْمَةُ الْعَرَبِ الَّتِي يَعْمَلُونَ عَلَيْهَا: اطْلُبِ الْمَوْتَ تُوهَبْ لَكَ الْحَيَاةُ، وَالنَّفْسُ إِذَا لَمْ تَخْشَ الْمَوْتَ كَانَتْ غَرِيزَةُ الْكِفَاحِ أَوْلَ غَرَائِزِهَا تَعْمَلُ، وَلِلْكَفَاحِ غَرِيزَةٌ تَجْعَلُ الْحَيَاةَ كُلَّهَا نَصْرًا، إِذْ لَا تَكُونُ الْفِكْرَةُ مَعَهَا إِلَّا فِكْرَةٌ مَقَاتِلَةٌ، غَرِيزَةُ الْكِفَاحِ يَا شَبَابُ هِيَ الَّتِي جَعَلَتْ الْأَسَدَ لَا يُسَمَّنُ كَمَا تُسَمَّنُ الشَّاةُ لِلذَّبْحِ، وَإِذَا انْكَسَرَتْ يَوْمًا فَالْحَجْرُ الصَّلْدُ إِذَا تَرَضَّرَصَتْ مِنْهُ قِطْعَةٌ كَانَتْ دَلِيلًا يَكْشِفُ لِلْعَيْنِ أَنْ جَمِيعَهُ حَجْرٌ صَلْدٌ.

يَا شَبَابَ الْعَرَبِ! إِنَّ كَلِمَةَ (حَقِّي) لَا تَحْيَا فِي السِّيَاسَةِ إِلَّا إِذَا وَضَعَ قَائِلُهَا حَيَاتَهُ فِيهَا.

فَالْقُوَّةُ الْقُوَّةُ يَا شَبَابُ! الْقُوَّةُ الَّتِي تَقْتُلُ أَوْلَ مَا تَقْتُلُ فِكْرَةَ التَّرْفِ وَالتَّخَنُّثِ، الْقُوَّةُ الْفَاضِلَةُ الْمَتَسَامِيَّةُ الَّتِي تَضَعُ لِلْأَنْصَارِ فِي كَلِمَةِ (نَعَمْ) مَعْنَى نَعَمْ، الْقُوَّةُ الصَّارِمَةُ النَّقَادَةُ الَّتِي تَضَعُ لِلْأَعْدَاءِ فِي كَلِمَةِ (لَا) مَعْنَى لَا.

يَا شَبَابَ الْعَرَبِ! اجْعَلُوا رِسَالَتَكُمْ: إِمَّا أَنْ يَحْيَا الشَّرْقُ عَزِيزًا، وَإِمَّا أَنْ تَمُوتُوا.

يسر الإسلام
الشيخ عبد العزيز البشري
مجلة الرسالة - العدد (٢٤٦)
١٩٣٨/٣/٢١ م

لقد كان يملك كثرة الناس العجب من تمام عظمة الإسلام في هذا الصدر اليسير من الزمن، وبلوغه ما بلغ في غير عنف ولا مطاولة يكافئان هذا المجد كله ولا معظمه، ولست الآن بصدد ترديد ما أثر التاريخ ولا ما دون المؤرخون في فتوح الإسلام وانتشاره السريع العجيب في قواصي الأقطار وأدانيها، وما كان لأهله في كل مكان من منعة وعزة وسلطان، فذلك شيء قد فاضت به الكتب، واحتفلت بتفصيله الأسفار الضخام؛ وبحسبي - فيما جرّدت له هذا الكلام القصير - أن ألفت القارئ إلى أنّ أمةً باديةً جاهلةً صائلةً يكون منها في هذا الزمن ما كان من العرب بفضل الإسلام. هذا فتح، وهذه سيادة، وهذا تعميرٌ واثميرٌ، وهدي علومٌ وفنونٌ وصناعاتٌ، وهدي حضارةٌ لا تتعلق بأذيالها أعلى حضارات التاريخ!

لعمري ما هذا كله؟ وكيف كان؟ وكيف تأتى بهذه السرعة لدولة الإسلام؟ اللهم إن أوثق يقيني أن مرجع هذا أجمعه إلى ما في هذا الدين من يسرٍ عظيم، الدين يسرٌ، وبفضل هذا اليسر كان من دولة الإسلام ما كان! ستقول: إن الإسلام ما ساد إلا لأنه حقٌ، وأقول لك: وهل ثمة أيسر من الحق أو أعسر من الباطل؟ ومتى احتاج الحق في تجليته إلى عنف أو إلى جهد؟ إن الباطل هو الذي يحتاج إلى هذا وهذا، وقل أن يثبت له معهما قراراً! وإذا قيل إن الإسلام دين الفطرة، فمعنى هذا أنه دين اليسر، لأن ما جاء على حكم الفطرة لا عسر فيه ولا مشقة. أما ما جاء على جهة التكلف والتصنع فذلك الذي يقتضي كثيراً أو قليلاً من الجهد والعناء.

الدين يسرٌ، وإن هذا اليسر ليغمره من جميع أقطاره. أرايت أيسر من دعوته: (لا إله إلا الله، محمد رسول الله). وأي شيء لعمري في هذه الجملة ينشر على الفهم؛ بل أي شيء فيها يتعثر فيه الذهن وتضيق عنه مساحة أدنى التفكير؟ هذا اليسر في هذا الحق الذي ليس وراءه حقٌ، هو الذي سلك أقطار الأرض بدعوة الإسلام، واستفتح لها قلوب الأمم والجماعات في غير علاج ولا استكراه! هذه الدعوة اليسيرة الواضحة لقد تغنت بنفسها عن العنف والاضطرار: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾. بل لقد استغنت عن استدراج الناس بفنون الإغراء

والاستهواء، وهذه تكاليف الإسلام، ما قامت فيها مشقةً إلا قامت بإزائها رخصةٌ؛ ولا كان في أحدها على أحد عُسرٌ إلا ذلٌّ بين يديه طريق العُذر. وهل بعد ذلك اليُسْر كَلَّه يُسر؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ اللهَ يحبُّ أنْ تُؤتى رُخصه كما يحبُّ أنْ تُؤتى عزائمُه)، وقد قال تعالى: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرجٍ﴾.

لم يقتضِ الإسلامُ أحدًا احتمالَ ما لا طاقةَ له باحتماله، فهذه تكاليفُه، من استطاع القيامَ بها، وإلا تخفَّف منها في حدود أحكام الشرع الكريم، حتى تُكافئ طاقاته ويتسع لها ذرعُه، ولا يتحرَّج بها وسعُه، مقبولًا عذره، مكفولًا عند الله أجره، ولعل من الخير أنْ أنبه في هذا المقام إلى شيء حقيقٍ بالانتباه: ذلك بأن من القواعد المُسلَّمة أنَّ الضروراتِ تبيحُ المحظوراتِ، ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، فالتفريطُ في غير ضرورة، والتخفُّفُ من أحكام الشرع من غير داعٍ جدِّي إثمٌ من الآثام. ومن القواعد الأصولية المقررة أن الضرورة تُقدِّرُ بقدرها. ولا شكَّ بعد هذا في أن تتبَّع الرُّخص، وتلمَّس المعاذيرِ إنما هو صرْبٌ من الاحتيال للتهرب من تكاليف الدين، وهيهات... لا ينظلي على الله... مُحال!

ومن يُسر هذا الدين أنه لم يقم بينك وبين ربك أيةٌ واسطةٌ. وليس من شكَّ في أن ما تستطيع أن تتناوله بنفسك أيسرُ عليك وأدنى إليك مما لا تستطيع تناوله إلا بواسطة غيرك. فإذا زلَّت بك القدم، وقلَّبك الشيطانُ في المنكر، أقبلت على ربك، وسألته قبُولَ توبك، والعفوَ عمَّا أسلفت من ذنبك، مطمئنًا إلى ﴿إن الله يغفر الذنوبَ جميعًا﴾. ليس بك حاجةٌ إلى من يُمهِّد بين يديك سبيلَ المعذرة، ولا من يعانِي لك استخراجَ العفو والمغفرة.

وبعد، فإنَّ من يُسر هذا الدين شدة تسامحه؛ ولا يذهب عنك أن هذا التسامح إنما كان من أبلغ الأسباب في عظمته، لا يدعوك الإسلامُ إلى كراهة ما يصدر عن مخالفتك في الدين لأنه يخالفك في الدين، بل يدعوك إلى أن تكرة منه ما يُكرهه، وتقرَّ منه ما يُحبُّ ويؤثر، فهو وأخوك المسلم في هذا بمنزلةٍ سواء، ولقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس جُبَّةً روميةً، وقال تعالى في كتابه الكريم:

﴿وطعامُ الذين أُوتوا الكتابَ حلٌّ لكم وطعامُكم حلٌّ لهم﴾، ولا ريبَ في أن لهذا دلالةً كان لها أعظم الآثار في نهضة الإسلام!

أرجو أن تكون قد اطمأنتت بعد هذا، إلى أن اليُسْر في الإسلام، كان من أبلغ الأسباب في عظمة الإسلام.

(بين اليأس والرجاء)

أحمد أمين

صوتان لا بدّ أن يرتفعا في كل أمة، ويجب أن يتوازنا حتى لا يطغى أحدهما على الآخر، صوتٌ يُبين عيوب الأمة في رفق وهوادة، ويستحثُّ على التخلص منها والتحرر من قيودها، وصوتٌ يُظهر محاسنها ويُشجع على الاحتفاظ بها والاستزادة منها. والصوتان معاً إذا اعتدلا كَوّنا موسيقا جميلةً منسّقةً تحدو الأمة إلى السير إلى الأمام دائماً، هي موسيقا الجيش تبعثُ الرجاء والأمل، وتُمني بالنصر والظفر، فإن بغى أحدُ الصوتين كانت موسيقا مضطربةً تهوش النفس، وتدعو إلى الفوضى والارتباك، وإذا كان (الدور) في الموسيقا يكون منسجماً كله، وإذا شدَّ أحدُ أصواته لحظةً فيكون (نشازاً) يחדش السمع ويجرح النفس، فما ظنك (بدور) كلّه (نشاز)؟

مما يدعو إلى الأسف أن صوتاً في الشرق علا كل صوت، وهو ليس خير الأصوات وأحبّها إلى النفس، هو صوت اليأس والتثبيط يتغنى به كلُّ أصناف الدعاة، فخطيب المسجد تدور خطبته دائماً على أن من يخطبهم ليسوا مؤمنين حقاً، فقد ارتكبوا من الأوزار، واجتروا من الآثام ما أخرجهم عن الإيمان الحق، وأبعدهم عن الدين الصحيح، ولو أخذهم الله بأعمالهم لأمطرهم حجارةً من السماء، أو خسف بهم الأرض، ثم يصبُّ هذا المعنى كلُّ أسبوع في قالب، وكل القوالب تختلف أشكالها، ويتحدّ معناها، ويخرج السامع دائماً وقد ملأه اليأس، وانقطع به الرجاء، إلا أن يتداركه الله بعفو ليس جزاءً على عمل.

ودعاة اللغة والأدب يُلحّون في أن اللغات الأجنبية خيرٌ من اللغة العربية، وأنّ الأدب الأجنبي أدبٌ الثقافة والفن والعلم، ولا شيء من ذلك في الأدب العربي، وأن من شاء أن يفتح عينيه فليفتحهما على أدب أجنبي ولغة أجنبية، وإلا ظلّ أعمى، وموجز دعوتهم أن يتحوّل الشرق في لغته وأدبه إلى الغرب في لغته وأدبه، لا أن يختار من لغة الغرب وأدب الغرب ما تلقح به لغة العرب وأدب العرب.

ودعاة الاجتماع أدهى وأمر، فليس في الشرق كله ما يُسرُّ، قد جرّده الله من كلّ حُسنٍ، فلا طبيعة جميلةً ولا مناظر جذابةً، ولا شيء فيه يأخذ باللبّ ويدعو إلى الإعجاب، والقمر في الغرب أنور منه في الشرق، والبحر الأبيض قد جمّل منه ما لا مسّ الغرب، وقبح ما لا مسّ الشرق، وكلُّ شيء في عادات الشرق وتقاليد تعافها النفس، وينفر منها الطبع، وعلى الجملة فالله تعالى الواهب ما شاء لمن شاء قد جعل الحُسن كلّهُ في ناحية، وقال له كُنّ الغرب فكان، وجمع القبح كلّهُ في ناحية وقال له كُنّ الشرق فكان، وهم إذا لم يقولوا ذلك كلّهُ جهاراً آمنوا به إيماناً، وصدرت عنه أفعالهم، واتجهت إليه حياتهم.

هذه نعمة مملوثة كانت أجنى على الشرق من كل عيوبه، ولن تفلح أمة من غير ذخيرة تعترُّ بها، ومجدٍ طارفٍ وتليدٍ تعتدُّ به، ونعمة قومية تدعوها إلى الفخر والإعجاب، ولأمرٍ ما قال تعالى ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾، وليس عبثاً أن يكونَ في أناشيد الألمان (ألمانيا فوق الجميع) وأن يعتقدَ بعضُ الأممِ في أنفسهم أنهم شعبُ الله المختارُ، ونحو هذا ممَّا ينعشُ الأملَ، ويدعو إلى العمل.

تلك ظاهرة نفسية لا مجالٍ لإنكارها، فاعتقد الغباوة في طفلك وكرَّر عليه اعتقادك تقتل كل ما فيه من ذكاء، وأعلن أنه ذكيٌّ وشجَّعه على ما يبدرُ منه من ضروب الذكاء تستخرج أقصى ما عنده من عقل. وفي المثل الإنكليزي (دَعَا الكلبَ عَقُورًا فَشَنِقَ) يَعْنُونَ أنهم اعتقدوا في كلبٍ سوءاً وَسَمَّوه عَقُورًا وظلُّوا يُطلقون عليه هذا الاسم حتى صَدَرَ منه من أفعالِ السوء ما استوجبَ قتلَه، ذلك أن الاتهامَ يحمِلُ على ارتكاب الجريمة من ناحيتين: من ناحية الإيعاز، فمن اتهمته فقد أوعزت إليه واقترحت عليه العملَ وأظهرت له الجريمة ماثلة أمام عينه حيناً بعد حين، ومن ناحية أن أكبر ما كانَ يمنعه من الشرِّ خوفه أن يُتَّهَمَ بالشر، فإذا اتهمته فقد كان ما يخشاه، وأقدم على ما كان يتحاماها، هذا إلى ما يوحيه الاتهامُ الدائمُ من شعورٍ باطنيٍّ يُسيِّره نحو العمل وفق الاتهام، وهذا هو السر في أن بعض القوانين تُسنُّ لمعاقبة بعض أنواع الإجرام فتكون سبباً لكثرة الإجرام، ثم ترفع فيقلُّ الإجرام، لأن وجود القوانين كان موعزاً بارتكابها، ولعل أنواعاً من الآثام زادت بكثرة الكلام فيها من جهلة الوعَّاظ ممن لم يُحسنوا دراسة النفوس وقوانينها. إذا سقط الفتى فأريته أن سقطته قابلةٌ للعلاج، وأخذت بيده لانتشاله، كَفَّرَ عن سقطته وعاد إلى حاله، وإن أنت أريته أن سقطته لا تُغتفر، وأنه لم يصبح إنساناً استمرَّ يسقط أبداً، وكثير من الساقطين والساقطات لو أحسوا في الناس استعداداً لقبولهم، وشعروا أنهم يُفسحون لهم في صدورهم لعدلوا عن سقطتهم، ونهضوا من عثرتهم.

وبعد، فليس الشرقُ بدعاً من الخلق، إن اعتزَّ أحدٌ بماضٍ فليس أمجد من ماضيه، وإن كان لكل أمة غريبة محاسن ومساوٍ فللشرق محاسنُه ومساويه، وإن كانت مساوئ الغرب لم تمنعه من نهوضه، فلم تمنع الشرق مساويه من نهوضه؟ ليس أعوقُ للشرق من هذا الصوت الكريه يصدرُ من دعائه فيبعث اليأس وينفث السمَّ.

أيها الدعاء: كَسَّرُوا قِيثَارَتَكُمْ هذه التي لا توقع إلا نعمةً واحدةً بغیضةً، واستبدلوا بها قيثارة ذات ألحانٍ صنعها طَبُّ بأدواء النفوسِ عليم، وأكثروا من ألحانٍ تبعثُ الأملَ، وتدعو إلى العمل، وتزيد الحياة قوةً، ولا تشهروا برذيلة إلا إذا أشدُّتم بفضيلة، ولا تُسمعونا صوتَ المعاولِ، إلا إذا أريتمونا حَجَرَ البناء.

الموضوع الأول

(التوازن بين العمل والعبادة في الإسلام أساس السعادة في الدنيا والآخرة)

اكتب مقالاً حول المضمون السابق مراعيًا الأسس الفنية لكتابة المقال.

الأستاذ/ أحمد العشماوي

إنَّ الإسلامَ بتشريعاته المُحكّمة والمتوازنة، وتعاليمه السَّمَّحة، دينُ عبادةٍ وعملٍ، ودينُ نظامٍ وانضباطٍ، فهو يجمعُ بينَ العملِ والعبادةِ في توازنٍ دونَ تعارضٍ.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾

فالإسلام يقوم على صلة العبد بربه وخالقه، لإحياء روحه وقلبه بأشعة الإيمان ونور اليقين، ويهتم بعمارة الحياة الدنيا وإصلاحها، واستخراج الرزق من ثنائها دون أن يطغى جانب على جانب، ولكن عند تعارض الأمرين فأمور الدين مقدّمة على أمور الدنيا.

لا شك أنّ العبادة هي وقودُ العمل وميزانُه ونوره ودستوره القويم الذي لا تزيغ معه الأهواء ولا تشردُّ به العقول والأفكار، أو تضل به الدروب.

وفي السيرة النبوية ما يدل على اقتران العبادة بالعمل، فلا الدينُ معطلٌ للإنتاج ولا مانعٌ له، وإذا أردنا أن نستشهدَ ففي سورة الجمعة وسبب نزولها ما يدل على أن الدينَ والعملَ أخوان لصيقان، وقد قال تعالى:

﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾

إنَّ الغايةَ بين العمل للدنيا والعمل للآخرة في الإسلام مبنيةٌ على توازن يواكبُ فطرة الإنسان ويحققُ رسالته في الحياة، ويؤكدُ خلفته الصالحة فيها دون تفريط في كل ما فيها من رفاهية.

يقول الله تعالى: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾

ولم تخلُ أحاديثُ النبي ﷺ من الإشادة بالتوازن بين الدنيا والآخرة والإشادة بالعاملين لكسب قوت يومهم، فقد قال رسول الله ﷺ: "ما أكل أحدٌ طعاماً قطُّ خيراً من أن يأكل من عمل يده".

وعملُ الإنسان في معاشه عبادةً شرط أن يكونَ العملُ مشروعاً في ديننا، وأن يؤدي العملَ بإتقان، وألا يشغله عمله الدنيوي عن واجباته الدينية، فقد قال الله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهيكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون﴾

فإذا رعى المسلمُ هذه الأمورَ كان في سعيه عابداً، وإن لم يكن في المحراب مبتهلاً إلى الله.

لقد نظّم الشرع الحنيفُ العلاقةَ بين العمل والعبادة بكل وضوح؛ حتى لا يطغى جانبٌ على جانب فتفسد حياة الإنسان، ومتى استطاع الإنسان أن يقومَ بهذه الموازنة على أكمل وجه فازَ في الدنيا والآخرة. فهو من جهة فعل ما يُرضي الله تعالى بتطبيق دينه وإقامة حدوده وأداء فروضه، وهو من جهة أخرى رعى أسرته وقامَ عليها، ولم يُقصر في إسعادها، هذا التوازن تقوى به المجتمعات وتزدهر، فصلاح المجتمع من صلاح أفراده، والموازنة بين الدنيا والآخرة سبيلُ السعادة وطريقُ الفلاح والعيش السعيد.

Handwriting practice area consisting of multiple horizontal dotted lines.

